عوامل تحول مغول تركستان إلى الإسلام
(624-808هـ/1227-1405م)

أ /أحمد جلا يلي-جامعة بوزريعة

مقدمـــة

إن تاريخ أسيا في العصور الوسطي كان حافلا بالأحداث السياسية والتقلبات العسكرية، فقد أبتلى العالم الإسلامي خلال القرن السابع الهجري/الحادي عشر الميلادي بظهور خطر أكبر قوة من الصليبيين اسمه الخطر المغولي، وقد أدى ظهور هذه القوة إلى تغيرات جذرية على قارتي آسيا وأوروبا، فقد كون القائد جنكيز خان دولة قوية في منغوليا وأطاح بالخلافة العباسة المنقسمة، وبسط سيطرته على كل ممتلكاتها الشاسعة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، وأطاح بأمم ودول كانت سائدة، مثل دولة الخطا والدولة الخوارزمية، وتلقت بلاد تركستان ومنطقة ما وراء النهر الضربة الأولى الموجعة، فتعرضت مدنها مثل سمرقند وبخارى وخوارزم إلى التخريب والتدمير.

ومع أن المغول كانوا شامانين المعتقد يعبدون أرواح أجدادهم والأوثان، إلا أنه لم تمض سنوات قليلة حتى بدأ الإسلام ينتشر في صفوفهم، فتولى المسلمون المناصب العليا في ممالكهم، وعملوا على تخفيف بعض ويلات ذلك الدمار المروع، وأعادوا بناء الكثير من المدن التي خربتها آلة الحرب المغولية مثل: بخارى وسمرقند وكش..، فأرجعوها إلى سابق عهدها تشع بالرقي الحضاري، ولم يكد يمضي نصف قرن على الغزو المغولي للعالم الإسلامي حتى تحول أغلبهم إلى الإسلام، وأصبحوا من أشد المدافعين عنه، بل ظهر منهم حكام وملوك وسلاطين وعلماء أجلاء خلد التاريخ أسماءهم بماء من ذهب.

وقد تفاوتت المدة التي دخلت فيها كل خانية في الإسلام، فبمجرد موت خانهم الأكبر جنكيزخان(549- 624هـ/1155- 1227م)، انقسمت إمبراطوريتهم

الشاسعة إلى عدة ممالك، تتولى إدارة شؤونها الداخلية بنفسها، وكانت إلخانية القبيلة الذهبية هي أول من اعتنق الإسلام على يد سلطانها بركة خان بن جوجي سنة663هـ/ 1265م، ثم تبعتها إيلخانية مغول فارس سنة694هـ/ 1295م على يد سلطانها غازان خان، وكانت إلخانية مغول تركستان(جغطاي) هي أخر من اعتنق الإسلام على عهد السلطان طرماشرين سنة 726هـ/1326م.

ولاشك أن **انتشار الإسلام بين مغول تركستان (624- 808هـ/1227-1405م)** لم يكن بالأمر السهل، بل جاء تتويجا لعدة جهود بذلها المسلمون بمختلف شرائحهم، حاولت دراستها في أربعة عناصر هي:

1- طبيعة المغول عامة ومغول تركستان خاصة.

2- الدور الذي لعبته بعض النساء وكذلك الدور الذي لعبه بعض الوزراء.

3- دراسة الدور الهام الذي لعبته بعض الطرق الصوفية لاستمالة المغول للإسلام.

4- الدور المهم الذي لعبه التجار.

العـــرض

استطاع الإسلام التفوق على كل الأديان والمعتقدات الأخرى، من مسيحية وبوذية وشامانية التي كان لها النفوذ الكبير في إلخانية مغول تركستان(جغطاي)، وتمكنون بتعاليمه السمحة استمالة قلوب تلك الوحوش الجارفة التي أتت على الأخضر واليابس، وذلك بعد صعوبات وعراقيل كثيرة جدا هي في الحقيقة لا تساوي شيء في سبيل إعلاء راية الإسلام والمسلمين، ونشر مبادئ الشريعة المحمدية السمحة بين أكثر الشعوب همجية على سطح الأرض، ولاشك أن ذلك يعود إلى أسباب كثيرة ومتعددة نحاول إجمالها في أربعة عناصر.

أولا: طبيعة المغول ومغول تركستان(جغطاي):

كان المغول بصفة عامة قبائل بدوية تنتقل من مكان إلى أخر لا يقر لهم قرار ولا يولون اهتماما بالحضارة، لأنهم كانوا يعيشون منعزلين في إقليم منغوليا الجدب، هناك في نواحي صحراء جوبي الواسعة، فكانوا يمضون معظم وقتهم في ركوب الخيل والصيد والتدرب على القتال[1]، وكانوا كثيري التحارب فيما بينهم في كل الأوقات والأزمنة، وكأنهم لم يخلقوا إلا للحرب والقتال، هذا ما أدى بجيرانهم المتحضرين من إقامة صور الصين العظيم اتقاء لشرهم، فبقوا منعزلين على أنفسهم في وطنهم الأم، ولا شك أن ذلك أورثهم حقدا وغلا كبيرين على كل ما هو حضاري،

ولذلك رأيناهم أثناء غزواتهم يَصُبون جام غضبهم وحقدهم على كل ما هو حضاري، فقتلوا الآلاف المؤلفة من العلماء والأطفال والنساء، ولم تسلم من همجيتهم لا المناطق المدنية ولا دور العبادة، فهدموا البيوت والجوامع والمدارس والزوايا على السواء، وأتلفوا المكتبات العامرة بالكتب القيمة[2]، لأنهم بكل بساطة لم يكونوا يحملون معهم أي مشروع حضاري، سوي مشروع القتل والتدمير والتخريب وكأنهم خلقوا لإفناء العالم.

لكن عندما انتهت أعمالهم الجنونية، وقفوا مذهولين أمام الحضارة الإسلامية، بما فيها من قصور وحمامات ومدارس ومساجد وحدائق رائعة، وتمثلوا أمامهم حياة اجتماعية وأساليب معيشية راقية لم يعهد وها من قبل في باديتهم الموحشة، ورأوا الإسلام دين الرحمة والعدالة، لا فرق فيه بين الحاكم والمحكوم بل الأول يحمل عنهم أعباء أمورهم، ولا طاعة له إلا في حدود ما أمر الله تعالى، الصغير يحترم الكبير والعكس صحيح[3]، كما رأوا بساطة هذا الدين ووضوحه وسهولة شعائره وبعدها عن الضلال والخزعبلات المتواجدة في غيره من المعتقدات الأخرى[4]، ورأوا بأم أعينهم الرقي الحضاري الذي بلغته المدن الإسلامية في عواصم بلاد تركستان مثل: بخاري منبع العلم والعلماء، وسمرقند موطن القصور والمتنزهات، وطاشقند وشاش وخيوة...، فانبهروا بمنشأتها المعمارية مثل المدارس والمعاهد والمساجد المشعة بالعلم والعلماء، والتي كانت تضاهي برونقها وجمالها العواصم الإسلامية الأخرى كبغداد ومصر والقيروان و بجاية ...، فكان الطلاب يأتون إليها من كل البقاع والأماكن لكي يستزيدوا من علومها الساطعة، فتخرج منها الكثير من فطاحل العلماء في الفقه والتفسير والحديث والفلسفة، فأضافوا لبنة من لبناتهم إلى الحضارة الإسلامية الراقية بالعربية والفارسية والتركية[5].

ومن هنا كان لا بد للمغول أن تلين قلوبهم للإسلام ويتأثروا بتلك الحضارة الكبيرة، ويعملوا كل ما في وسعهم لاكتسابها لأنها ثقافة العصر، وكان لا بد لهم أن يتحولوا إلى دين تلك الشعوب العظيمة، لأنه دين أغلبية سكان الإمبراطورية التي احتلوها[6]، وهو دين أغلبية سكان إلخانية مغول تركستان(جغطاي)، ولذلك لم يكن تحولهم إلى الإسلام إلا مسألة وقت ووقت فقط، لاسيما إذا علمنا أن ديانتهم الشامانية كانت ديانة بدائية لا تقوم على أسس أخلاقية، ولا تستطيع الصمود طويلا أمام حجج الإسلام الدامغة وأتباعه القاطبة في بلاد تركستان، بما تحتويه من فقهاء وعلماء فطاحل وصوفية وتجار نشطاء، مهرة في الحجة والإقناع تهتدي أمام براهينهم

العقول التائهة[7]، ومن هنا كان لا بد للمغول أن يعتنقوا الإسلام دين الأكثرية المغلوبة، فيعكسوا لنا النظرية القائلة أن المغلوب مولع دائما بإتباع الغالب.

ويعتبر السكان المحليون من بين أهم العوامل التي أثرت في مغول تركستان، ودفعت بهم إلى تشرب الحضارة الإسلامية ثم اعتناق دينها، وهؤلاء السكان كانوا إما فرسا أو أتراكا، فالأوائل دخلوا في الإسلام منذ أمد بعيد وتشربوا المبادئ الإسلامية، وتبنوا معالم الحضارة التي قامت في بغداد الأصيلة، فأفادوا واستفادوا وكانوا عنصر فعال في بناء صرح الثقافة الإسلامية، فأضافوا لها لمسة من لمساتهم السحرية، ولما جاء المغول استسلموا كغيرهم أمام السحر الفارسي، وامتزجوا بروح ذلك الشعب الكبير الذي يفيض بالحيوية والنشاط، فاغتنم الكُتَّاب والموظفون المسلمون الأكفاء الفرصة في نقل النظم والخبرات والتقاليد الحضارية التي كانت تزخر بها الثقافة الفارسية إلى المغول[8].

خاصة في عواصم بلاد تركستان الكثيرة حيث بلغ هذا التأثير مبلغه، وعندما انطفأت ثورة المغول وهدأت همجيتهم وأصبحوا يقتبسون من الحضارة الفارسية، حتى أضحت اللغة الفارسية في وقت من الأوقات هي لغة لكتابة رسائلهم، فكانت رسالة الرد على البابا الفاتيكان التي حملها "كاربيني" سنة 642هـ/1246م مثلا محررة باللغة الفارسية، بينما كتب عنوانها باللغة التركية[9]، كما كانت الرسالتين الأولى الموجهة من "كيوك خان" إلى البابا انو سنت 4(640- 651هـ/1243/1254م)، والثانية من "مونكو خان" إلى "للويس 9" (1270/1226م) ملك فرنسا مكتوبتين باللغة الفارسية، لأن اللغة المغولية لم تكن في وقت من الأوقات للغة الثقافة والعلوم والأدب، ومن هنا بدأ التأثير الإسلامي على المغول شيئا فشيء[10]، خاصة في الجهة الغربية من بلاد ما وراء النهر ذات المدن الحضارية الكثيرة، في حين يسيطر التأثير التركي والصيني كلما اتجهنا شرق إلخانية مغول تركستان.

وقد لعب الأتراك دورا مهما في التأثير على مغول تركستان لأنهم الأغلبية فيها وهم أول من استوطنها، ومن هنا وجد المغول أنفسهم يعيشون وسط القبائل التركية ذات الباع الطويل في الإسلام، وفي نفس الوقت كانوا يشتركون معهم في كثير من المواصفات، مثل الأصول العرقية والعادات والتقاليد والمؤهلات الحربية والتاريخ المشترك، حتى أنك لا تستطيع التفريق بينهم إلا بصعوبة، إلا أن الترك كانوا قد دخلوا في الإسلام منذ عهد بعيد، وكانت لهم صولات وجولات في التاريخ الإسلامي[11]،

وكان هذا التأثير يتجلى في أمرين مهمين هو تزويد المغول بالجند الأتراك وتأثير الحضارة الأويغورية فيهم.

وقد حرص المغول منذ الوهلة الأولى منذ عهد القائد جنكيزخان على تزويد جيوشهم بالعنصر التركي القوي المتمرس على القتال، فقد استطاع هذا الأخير بذكائه ومكره المعهود أن يستميل إليه القبائل التركية المتاخمة لدولته الفتية، والتي كانت في عداء مستمر معه مثل النايمان والكرايت والأويرات والأويغور، وأصبحت تلك القبائل المزود الرئيسي لجيش جنكيزخان، وأضحت مثلا يقتدي به من قبل القبائل الأخرى المتواجدة في الجهة الغربية، مثل القارلوق والقرغيز والبلغار..، ومن هنا كان أغلب جند المغول من العنصر التركي[12]، وخاصة لدى مغول تركستان، الآن المغول لما فتحوها مكثوا فيها على شكل حاميات صغيرة تتولى استتباب الأمن وإدارة شؤون الإلخانية، ومن المعلوم أن أغلبية تلك القبائل كانت تعتنق الإسلام، ومن لم تكن كذلك كانت متأثرة بالحضارة الإسلامية مثل قبائل القرلوق والماليق المسلمين[13]، فقد فضل رئيس طائفة الأويغور المسمي"إيدي قوت" القاطنة في مدينة "باش باليغ"، الانضمام إلى القائد جنكيزخان سنة 606هـ/1209م إثر إعلانه الحرب على دولة القراخطائيين، رغم أن أغلب قومه كانوا مسلمين[14]، وعندما احتل المغول مدينة بخارى سنة 617هـ/1220م عهدوا إلى جيش نصفه من الأتراك والنصف الأخر من المغول لحراسة أعيان المدينة، ومن هنا يتجلى لنا ميل المغول إلى العنصر التركي منذ الوهلة الأولى ومع مرور الوقت ذابوا فيهم[15].

لكن يجب علينا أن ننوه هنا إلى نقطة مهمة، مفادها أن المغول كانوا يعملون جاهدين من أجل عدم إتحادهم مع الأتراك، ويسعون إلى عدم إشراكهم في عمليات الفتح، واعتبروها من اختصاصهم هم فقط، وقد كانوا يسعون بتأكيداتهم الكاذبة وتوطيد عرى الصداقة والمودة مع الأتراك من أجل تفريق صفوفهم فيأخذوهم فرادى، فقد عمل القائد جنكيزخان مثلا كل ما في وسعه من أجل كسب صداقة أم محمد بن خوارزمشاه[16]، "توركينا خاتون" التي كانت تقتسم السلطة مع ابنها، ولها كلمة مسموعة في الدولة[17]، وكانت الأوضاع بينهما حرجة ومتوترة، فعمل المغول كل ما في وسعهم من أجل عدم تدخل هذه الأخيرة إلى جانب ابنها في الحرب ضدهم، وذلك لما كانت تملكه من كتائب كبيرة في الدولة، والدليل على ذلك ما فعلوه بالقسم التركي من حامية مدينة سمرقند، التي استمالوها إلى أن فتحت لهم لأبواب ولما

دخلوها أفنوها عن بكرة أبيها[18]، وهذا ينم على مدى عبقرية المغول في الإستراتيجيات العسكرية الناجمة عن دراستهم طبوغرافية المنطقة شبرا شبر، فكيف لا ينتصرون إذن؟.

لكن وبعد ذلك الاضطهاد المؤقت للأتراك المسلمين وجد المغول أنفسهم أمام الأمر الواقع، فوجدوا أنفسهم أقلية وسط جمهرة السكان، خاصة في إلخانية مغول تركستان ذات الأغلبية التركية، لأنهم لم يهاجروا إليها جميعا بل مكثوا فيها على شكل حاميات عسكرية، تقوم بإدارة الحكم وتضمن الخضوع المستمر للمغول، ولاشك أن تلك الحاميات لم تكن في معزل عن السكان المحليين، بل اختلطت واحتكت بهم وكانت هي مصدر تزويدهم بالجند، ومن هنا بدأت عملية التأثير والتأثر والبقاء للأقوى المتحضر[19]، ومن هنا لعب الأويغور دورا مهما في تسيير إمبراطورية المغول، وخاصة إلخانية مغول تركستان، وذلك لعدة أسباب، فبالإضافة إلى وجود عادات وتقاليد مشتركة بين المغول والأويغور، فقد كان فيما بينهم تاريخ طويل، حيث أنهم اشتركوا في تكوين دولة كبيرة في منغوليا سنة 126هـ/745م، على نهر أورخون، ودامت إلى غاية 224هـ/840م حيث انتقلت إلى بلاد تركستان[20].

وقد لعب الأويغور دور مهما في الوساطة بين الفرس والصينيين والهنود والمغول، كيف لا وقد عرفوا كل من الشامانية والمانوية والبوذية والمسيحية ثم الإسلام[21]، ولما جاء الغزو المغولي كانوا أول المنظمين إليه لأنه أمر واقع، ومن ثم حاولوا كسب ودهم لكي لا يمحوهم عن خارطة العالم فيصبحوا في خبر كان، مغتنمين في ذلك التاريخ المشترك بينهم، فواصلوا لعب نفس الدور الذي لعبوه مع الشعوب الأخرى، فقربوا بين المسلمين والمغول خاصة إذا علمنا أن المغول كانوا متأثرين كثيرا بالحضارة الأويغورية، فجعلوا اللغة الأويغورية[22] اللغة الرسمية لبلاطهم بعدما استطاعوا نشرها في منغوليا[23]، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مدى تأثير الأويغور على المغول، ولاشك أنهم حرصوا على نشر الثقافة الإسلامية بينهم، وشيئا فشيء استطاعوا تحويلهم إلى الإسلام، وهكذا تمكن الأتراك المسلمين المنظمين إلى الجيش المغولي بالتنسيق مع الأويغور العاملين في الإدارة أن يقنعوا المغول في التحول إلى الإسلام.

وقد لعب الموقع الإستراتيجي لإلخانية مغول تركستان المتوسط لإمبراطورية المغول دورا مهما في إعادة بعث الحركة الإسلامية، لأن المد الإسلامي استمر يأتيها من ثلاثة جهات مهمة ألا وهي بلاد الهند بلاد القبيلة الذهبية وبلاد فارس، فالأولى هي المنطقة الوحيدة التي استطاعت أن تنجو من الاحتلال المغولي لشدة حرارتها[24]، ولا شك أنها

وأفغانستان لعبتا دورا مهما في إيواء الفارين من الهمجية المغولية، فقد استطاع جلال الدين منكبرتي (616- 628هـ/1220- 1231) أن يهرب ويحتمي ببلاد الهند بعدما انهزم أمام المغول في سنة 622هـ/1225م، ومكث فيها فترة من الزمن حيث جمع قواه وعاد للمطالبة بعرش أبائه[25]، ولاشك أن هذا الحال كان ينطبق على بقية الضعفاء والعلماء والقبائل القاطنة في إلخانية تركستان، حيث احتمت واستجارت ببلاد الهند، وأصبحت هذه الأخيرة تستقبل أعداد كبيرة من الفارين من الأتراك، من فلاحين وصناع وفقهاء وتجار، وملك الهند في كل ذلك يؤويهم ويحميهم ويقدم لهم الغالي والنفيس، حتى أطلق الخليفة العباسي المستنصر بالله في سنة 626هـ/1228م على سلطان الهند "تتمش"(633هـ/1235) لقب "ناصر أمير المؤمنين"[26]، كما لقب السلطان "محمد بن تغلق شاه "بـ: "خليل أمير المؤمنين"[27]، وقد كانت تلك الألقاب عرفانا منه بالأعمال الجليلة التي كان سلاطين بلاد الهند يقدمونها للاجئين المسلمين،وهي تثمينا لجهودهم الجبارة لصد المغول ونصرة الإسلام والمسلمين.

ومن حسن الحظ أن تلك الهجرات لم تدم طويلا لأنها خفّت بانتهاء الغزوات المغولية، وبدأت الأوضاع تتحسن تدريجيا، خاصة في عهد "أوكتاي خان"(626- 639هـ/1229- 1242م)، الذي كان يعلم جيدا أن المغول أصحاب حروب وقتال بطبيعتهم ولا علاقة لهم بإدارة الشعوب والدول المتحضرة[28]،فكان الوحيد من المغول الذي استطاع أن يسمو فوق النزاعات التعصبية والمؤامرات الدنيئة،واستطاع بكرمه وعدله غير المتحيز أن يوازن ويصلح بين الأعيان والأمراء من شتي المذاهب والاتجاهات[29].

فقد أقنعه وزيره الصيني "يه لو جئوتسأد" بضرورة تعيين مساعدا أو مساعدان مدنيين ذوي خبرات إدارية مع كل أمير من أمراء المغول في الأراضي المحتلة، وذلك من أجل جمع الخراج من السكان مباشرة، ومن هنا أصبح "التنماجي"(عامل الخراج) هو المسئول المباشر أمام الخان، كما أشرف على عملية تنظيم الشؤون المالية للإمارة، ومنع الأمراء من التدخل في أعمالهم، ومن هنا أمكن تنظيم الدولة ودخلها وخراجها، لأن هؤلاء العمال ومساعديهم كانوا من السكان الأصليين[30]، فتحسنت الأوضاع كثيرا في عهده،فلم يكن يتولى أمور المناطق الإسلامية إلا مسلمون أكفاء في أغلب الحالات،[31]،ولاشك أن هذه الأوضاع المتحسنة وصلت إلى أسماع من فر إلى بلاد الهند، ففضلوا العودة إلى وطنهم الأم من أجل استئناف حياتهم العادية،ومساعدة إخوانهم في كسب قلوب المغول إلى الإسلام.

وقد لعبت منطقة بلاد القبيلة الذهبية نفس الدور خاصة بعد تحول خاناتها إلى الإسلام مبكرا، فقد تمكن"باطوخان"(624- 654هـ/1227- 1256م) من حماية المسلمين من ظلم كيوك خان وعماله المتنصرين والمتنفذين على بلاده، لأنه كان يحب المسلمين ويحترمهم، فلجأ الكثير منهم إليه فرارا بدينهم من بطش وجبروت المغول وعمالهم، ولم تنتهي تلك المعانات إلا بنشوب الحرب بين الطرفين وموت "كيوك خان"سنة647هـ/1249م[32]فارتاح المسلمون من ظلمه،وقد واصل السلطان"بركة خان"(654- 665هـ/1256- 1266م) لعب نفس الدور فقد اعتنق الإسلام وحسن إسلامه، وأخذ على عاتقه الدفاع عن راية الإسلام والمسلمين ونشره بين أتباعه، فكان يبالغ في احترام العلماء المسلمين ويزيد في إكرامهم حتى أنه أعفاهم من دفع الضرائب، وهذا ما سمح باستئناف الحضارة الإسلامية بين المغول[33].

لاشك أن هذه الأوضاع كانت تساعد كثيرا مسلمي مغول تركستان، الذين كانوا يلتجئون إلى بلاد القبيلة الذهبية غير البعيدة عنهم، فرارا من الاضطهدات المغولية، وعندما تتحسن الأوضاع يعودون إليها حاملين لواء الدعوة من جديد بتدعيم من السلطان "بركة خان"، وبهذا العمل تمكن جلب سكان تركستان إلى صفه أثناء حربه ضد ابن عمه"هولاكو خان"(654- 664هـ/1256- 1265م) حاكم إيلخانية مغول فارس[34]، لأنه أسقط الخلافة العباسية وقتل الخليفة والمسلمين بغير حق على حد قول بركة خان، فنهض هذا الأخير يذود عن الإسلام والمسلمين [35].ولاشك أن بلاد فارس لعبت نفس ذلك الدور.

ذلك ما أرجع الأمل إلى مسلمي مغول تركستان، وجعلهم يلملمون شتاتهم ويحاولون النهوض من جديد بدينهم لينشروه بين المغول فيتقبلوه بالتدريج، لأن غزوهم للعالم الإسلامي لم يكن لبغضهم الدين الإسلامي أو المسلمين بل بسبب التجارة وعنجهية خوارزمشاه، ففي كثير من الأحيان كانوا يظهرون احترامهم للعلماء المسلمين وشيوخ الدين، فقد أرسلوا يوم حصارهم مدينة بخارى إلى الشيخ الجليل نجم الدين الكبرى الأمان، وطلبوا منه الخروج من البلاد مع جميع أتباعه، ولكنه رفض وأصر على الموت مجاهدا في سبيل الله تعالى[36]، وعندما هدأت غزواتهم وجدوا أنفسهم بحاجة إلى من يدير لهم إمبراطوريتهم الواسعة، لأنهم كانوا بدو لا علم لهم بفن سياسة الأمم والشعوب الراقية، فاعتمدوا على وزراء وجبات الخراج ومفتين ومدرسين وأئمة مسلمين حتى في موطن جنكيزخان الأصلي فما بالك بالبلاد الأخرى، وقد اغتنم المسلمين تلك

الظروف في بناء المساجد والمدارس في كل تركستان، وحثوا المغول للاهتمام بالثقافة والعلم[37]، فنجحوا في تحويلهم إلى الإسلام.

ثانيا: دور بعض النساء والوزراء:

1- دور المرأة:

لقد كانت المرأة المغولية محاطة بهالة كبيرة من التقدير والاحترام، لدرجة أن خوانين المغول وأمراءهم كانوا إذا كتبوا أمرا لا يستثنون نساءهم منه، فيكتبون فيه عن أمر السلطان والخواتين، وكانت كل خاتون تُمنح عددا من البلاد تجبى منها الخراج لحسابها الخاص، أو تُمنح راتبا سنويا كبيرا لا يقل في كثير من الأحيان عن راتب أمير الأمراء أو نائب الخان، وقد بلغ علوهن في إلخانية مغول تركستان شأنا كبيرا لدرجة أنه لا يتم عقد القروليتاي إلا بحضورهن[38]، وفي كثير من الأحيان كانت الخواتين تتولين إدارة شؤون الدولة خلفا لأزواجهن المتوفين وذلك إلى حين انعقاد القروليتاي وتعيين خان جديد، وفي كثير من الأحيان كانت تنقضي فترة طويلة ولم يتم عقد القروليتاي والخاتون تدير أمور المملكة[39]، فقد استطاعت زوجة أوكتاي خان "توركينا خاتون" أن تتولى مهام إدارة الحكم، وعملت كل ما في وسعها من أجل تولية ابنها "مونكو خان"على عرش المغول العظام[40]، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مدي مكانة ودور المرأة في حياة المغول.

لقد كان هذا الأمر موجودا كذلك في إلخانية مغول تركستان، فقد عين"كيوك خان"(644- 647هـ/47- 1249م) صديقه "ايسسو- منكي ابن جغطاي" خانا على مغول تركستان، ولكنه لم يكن يفيق من شرب الخمر، فكانت السلطة الفعلية في قبضة زوجته "توكاشي أو نوغاشي" خاتون والوزير المسلم بهاء الدين المرغياني[41]، ولكن هذا الوضع لم يدم طويلا لأن القائد"باطو خان" سرعان ما عزل"ييسو- منكي" وعين مكانها "إيراغيني- خاتون" ابنة "أريك بوغا" أرملة قراهولاكو، لتقوم بإدارة شؤون الإلخانية نيابة عن ابنها الصغير "مباركشاه"، الذي ربته تربية الإسلامية ليتولى عرش أبائه، واعتلا العرش فعلا في سنة657هـ/ 1260م[42]، ولاشك أن هذه الأخيرة لعبت دورا مهما في تحويل بعض مغول تركستان إلى الإسلام، ولك أن تتخيل مدى التأثير الذي كانت تتمتع به زوجات المغول اللائي كن على ذلك القدر من العلو في المنزلة لدى أزواجهن[43].

خاصة إذا علمنا أن معظم الخوانين والأمراء والقواد المغول قد تزوجوا بتركيات وفارسيات مسلمات، واتخذوا من الأسيرات المسلمات السراري والحظيات، وكان لهن

الفضل في التأثير على المغول وتحويل الكثير من أمرائهم إلى الإسلام، كما لعبت العديد من المسلمات اللائي كن يشرفنا على تربية الأولاد ويقمن بشؤون الخدمة في البيت المغولي، الدور المهم في نقل أساليب الحضارة الإسلامية في المعيشة والعادات والتقاليد[44]، ومن هنا كانت المرأة تلعب الدور المهم والمشرق في إسلام المغول، فقد دخلت إلى قصور الأميرات المغوليات وأقنعتهن بمزايا الإسلام وخصائصه، فتحول من تحول منهن إلى نور الإسلام وبقي البعض منهن على أديانهن، ولكن هؤلاء الداعيات استطعن على الأقل تحييدهن أو جعلهن يتعاطفن مع الإسلام وقضاياه العادلة، وأكبر دليل على ذلك ما حدث مع الأميرة "سورتيقي خاتون بيكي" التي كانت نصرانية، مع ذلك شيدت المدارس الإسلامية في بخارى وعطفت على المسلمين تحت تأثيرهن[45]، وقد تمكنت فاطمة المسلمة (أصلها من طوس) التي كانت غاية في الذكاء والكفاءة، أن تبلغ عندها المكانة الرفيعة حتى أصبحت حاجبتها وكاتمة سرها، وكانت الخاتون تعزل وتعيين الأمراء وأركان الدولة ممن كانوا يتقلدون المناصب الكبرى بأمرها[46]، ومن ثم لم يكن نشر الإسلام من اختصاص الرجال فقط، بل قامت النساء المسلمات الأسيرات بنصيبهن في هذه المهمة الجليلة، ويرجع لهن الفضل في إسلام الكثير من المغول وأمرائهم[47].

لقد واصل هذا التأثير على المغول وأمرائهم وزوجاتهم حتى استطاعوا إقناع "سرقوتني بيكي خاتون" المسيحية إلى بناء مدرسة كبيرة من ثلاثة طوابق ببخارى على نفقتها الخاصة، لتعليم الناس أمور دينهم ونشر الإسلام، وعينت عليها الشيخ سيف الدين الباخرزي ليتولي أمرها، وأوقفت عليها الكثير من الأوقاف [48]، كما كانت تعطف كثيرا على الرعايا المسلمين والأئمة ومشايخ الإسلام في إلخانية مغول تركستان، فكانت تغدق عليهم بالكثير من العطايا والهبات، واستمرت في التصدق على الفقراء والمساكين المسلمين إلى غاية وفاتها سنة 649هـ/1251م[49]، والأكيد أنها كانت تفعل ذلك تحت تأثير مساعدتها المسلمة وبعض الوزراء، فجزاها الله عن أعمالها كل خير بأنها كانت ذخر للإسلام .

وقد تمكنت تلك المحظيات والمساعدات في استمالة الكثير من الخواتين إلى اعتناق الإسلام، فقد كانت زوجة جغطاي"سيونج تركان" مثلا مسلمة من نسل أبو الفوارس قوتلوغ سلطان "براق حاجب خان" مؤسس دولة قري خطاي[50]، ورأينا من قبل كيف تمكنت "أرغنة خاتون" زوجة قراهولاكو حفيد جغطاي أن تربي ابنها على الإسلام، وتولى العرش باسم مباركشاه سنة643هـ/1246م[51]،وقد استمرت تلك

الخواتين في تدعيم الإسلام والمسلمين وضللن يقدمنا له الكثير من الخدمات الجليلة، فقد أعطانا ابن بطوطة صورة مشرقة عن حسن إسلامهن وخدمتهن للإسلام والمسلمين مثل إكرام الضيف، فقد أعطته "الخاتون جيجا أغا" امرأة القاضي مائة دينار، كما أقامت له أختها زوجة أمير سمرقند مأدبة كبيرة، دعت إليها الكثير من الفقهاء ووجهاء المدينة بزاويتها التي بنتها بأموالها الخاصة وأجرت عليها الصدقات والأوقاف، وكانت تلك الخاتون من أفضل النساء وأكثرهن خدمتا للإسلام والمسلمين، مع تواضعها وحسن إخلاصها[52]، وهكذا ضربت لنا النساء أروع الأمثلة في إخلاصهن للإسلام، وأثبتت لنا أن دعوة المغول إلى الإسلام لم تكن من اختصاص الرجال فقط، بل كان لهن فيها النصيب الأوفر، فضربن بسهمهن في سبيل إعلاء دين الله الحق بين مغول تركستان.

2-دور الوزراء:

إن الوزراء والموظفين المسلمين كانوا أكثر حضا في تحويل المغول للإسم، ذلك لأنهم كانوا الأكثرية في دولة المغول، وكان المغول جاهلين بفن إدارة الشعوب والأمم، وقد فضل الكثير من المثقفين المسلمين والفقهاء التعاون مع المغول، على اعتبار أن حكمهم للبلاد كان أمر واقع، ولا طاقة لهم في مقاومة جيوشهم الجرارة، فرؤوا بثاقب فكرهم أن التنسيق مع الغزاة قد يخفف من وحشيتهم، ويتبعوا سياسة المسالمة والتعايش مع الأغلبية المسلمة، فتهدأ الأوضاع وتصفو الأجواء ويخلو الجو للمسلمين لدعوتهم إلى لإسلام، فتعم الفائدة للطرفين حكاما ومحكومين، وقد تحقق ذلك بالفعل، وأصبح لهؤلاء الوزراء والموظفين المسلمين نفوذ كبير في دولة المغول، بعد أن استخدمهم الخانات والأمراء المغول في مختلف وظائف الحكم الإدارية والمالية، فتحول الكثير من المغول إلى الإسلام[53].

ومن بين الأُسَرْ البارزة التي لعبت دورا كبيرا في تخفيف حقد المغول على المسلمين، وأعادت بناء المدن الحضارية التي هدمتها ألة الحرب المغولية أثناء هجماتهم الأولى في بلاد تركستان، نذكر أسرة يلواج[54] التي كانت تنتمي إلى الوزير المسلم محمود يلواج الخورزمي، الذي قام بمهنة السفارة لجنكيزخان سنة614هـ/1217م، ومنذ ذلك الوقت وهو في خدمته فكان من أقرب مقربيه وبمثابة وزيره الأول ومستشاره الخاص، فبقى يتمتع دائما بعطفه ورعايته إلى أن عينه نائبا عنه على بلاد تركستان ومنطقة ما وراء النهر[55]، وضل في ذلك المنصب إلى عهد "أوكتاي خان"(626-

639هـ/29- 1241م)، الذي نقله إلى بلاد الصين وعينه حاكما على بيكين، وجعل ابنه مسعود بك مكانه على إلخانية تركستان، وبقى هو في بكين إلى أن مات سنة 652هـ/1254م[56]، وفي "عهد كيوك خان"(644- 647هـ/47- 1249م) أضاف إليه مملكة الخطا، وثبت ابنه مسعود على مغول تركستان، وبقيا في منصبيهما وقاما بمهمتهما أحسن قيام[57].

ويتحدث ابن الفوطي بوقار وإجلال على الوزير محمود يلواج فيقول: هو" فخر الدين أبو القاسم محمد بن محمد يعرف بيلواج الخوارزمي، كان من أعيان دولة جنكيزخان والعظماء والوزراء في هذا الزمان، وعليه مدار الملك في المشرق وإليه تدبير ممالك تركستان وبلاد الخطا وما وراء النهر، وكان مع هذا الحكم والدهاء كاتبا سديدا يكتب بالمغولية والأيغورية والتركية والفارسية، ويتكلم بالخطائية والهندية والعربية، وكان غاية في الفهم والذكاء والمعرفة وبتدبيره انتظم للمغول ملكهم"[58] ويقول فيه جمال قرشي:" الصاحب الأقدم والدستور الأعظم فخر الدين وغياث الإسلام والمسلمين، أعدل وزراء الخواقين ضابط الممالك، حارس أهل الإسلام من المهالك"[59]، فيكفيه شهادة المنصفين عن أعماله.

وقد قام ابنه مسعود بك بأمور إلخانية مغول تركستان خير القيام حتى قال فيه ابن الفوطي: أنه "صاحب الحكم والحكمة وزاد على أبيه في علو الهمة"[60]، ومدحه القرشي بقوله: إنه" الصاحب الصدر الكبير المعظم، الأمير الخطير المفخم، سلطان وزراء العلم، مفخرة الأمراء بني أدم، صاحب السيف والقلم، ناصب الطيور والعلم، ناشر البر والكرم، راقي رتبتي الملك والعلم، ساقي كأسي البأس والحلم، سايق حلبتي الحرب والسلم، ليثي الوشوب في الحروب، غيثي اليسوب للنشوب، برهان الدنيا والدين مسعود بن محمد الخوارزمي، الذي هو خلاصة النقد ووساطة العقد...، وكانت أيامه كالليالي في أنامه الفتن واستنامة الرماية لإلي السبات والسكن، لاستخلاصهم عن العوارض والفتن...، فاعتلى لواء العلم بنصره وانجلى ظلام الظلم في عصره ...، توفي سنة 688هـ/1289م ودفن في مدرسة بخارى"[61]، ثم تولى مكانه ابنه مسعود الثاني أبو بكر مسعود في سنة (689هـ/1290م) وتوفي سنة (697هـ/1298م)، وجلس بعده أخوه الأمير مسعود الثالث "سيونج بن مسعود" في كاشغر[62].

لعبت هذه الأسرة الكريمة دورا مهما في خدمة الإسلام والمسلمين، فقد تمكن محمود يلواج التخفيف من ألام الضربة القاسية التي أوقعها المغول بسكان بلاد ما وراء

النهر، واستطاع بحسن تدبيره وتوخيه العدل إلى إعادة تعمير البلاد التي خربها المغول، وعمل على إصلاح أحوال الناس ونظم الإدارة وساس البلاد أحسن سياسة[63]، وقد لاق في سبيل ذلك الكثير من المصاعب والويلات، خاصة من طرف "جغطاي" الذي كان يعمد دائما إلى عزله وإبعاده من إلخانيته، دون استشارة أخيه الخان الأعظم الذي كان يدافع عن يلواج ويرجعه إلى منصبه، وفي الأخير نقله إلى الصين وعين مكانه ابنه مسعود بك[64].

واستمرت تلك المعانات بعد موت "أوكتاي خان"639هـ/1241م من طرف جغطاي ووزيره قطب الدين حبش، بالتعاون والتنسيق مع مستشارة الملكة "توركينا خاتو" المدعوة فاطمة، مما أدي بيلواج إلى الهرب هو ومساعده الأيغوري "جينغي"، واحتميا بابن أوكتاي "كوتان"[65]، فنجي من تلك المكائد والمؤامرات بعون الله وحفظه، وقد ذاق ابنه مسعود من نفس الكأس التي ذاق منها أبوه، فيخبرنا بارتولد عن هربه هو أيضا إلى السلطان "باطوخان" فرارا بجلدته من المؤامرات، ولكنه تمكن قبل تنصيب "كيوك خان"644- 647هـ/47- 1249م من العودة إلى منصبه، واشترك في "قروليتاي"643هـ/1246م بصفته واليا على بلاد تركستان[66]، وهكذا تمكن هو وأبوه النفاذ من المكائد التي كانت تحاك ضدهما، من قبل خانات وأمراء المغول ومن حذا حذوهم من الوزراء المتطلعين إلى تبوء مكانتهما، فما أحوجنا اليوم إلى رجال من طينة محمود يلواج وابنه مسعود بك في مواجهة الغازي الجديد ونصرة الدين الإسلامي.

لم يكتفي محمود وابنه مسعود من إنقاذ المسلمين من بطش المغول فقط، بل عملوا كل ما في وسعهم من أجل إعادة بناء مدن بلاد تركستان،وأعادوا تنظيم الدولة وضبطوا أمور الإدارة ونشروا الأمان، وحكموا بالعدل في كل شؤون البلاد، وأعادوا إلى مدن بلاد ما وراء النهر مثل بخارى وسمرقند وخوارزم رونقها المفقود، فبنو المساجد والمدارس الدينية الرائعة[67]، وكان لمسعود بك الفضل الكبير في بناء المدارس الكثيرة في كاشغر وبخارى و"باش بالق" وسمرقند، التي سميت بالمدارس المسعودية نسبة إليه[68]، وقد قامت تلك المدارس بدور مهم في نشر الثقافة والعقيدة الإسلامية بين مغول تركستان، كما حافظت على التراث الإسلامية من الضياع، وكانت تلك المدارس تعج بالأئمة والمشايخ والمدرسين المسلمين، تغدق عليهم العطايا والمنح عرفانا بجهودهما الجبارة في خدمة الإسلام والمسلمين[69].

كما استطاع محمود يلواج التقرب من "سرقيني خاتون بيكي" وأثّر فيها حتى أقنعها ببناء مدرسة إسلامية في مدينة بخارى من مالها الخاص، وأوقفت عليها الكثير منالأوقاف[70]، كما التقرب أيضا من أرملة جوجي المتعاطفة مع المسلمين، وأثر على ابنها "باطوخان" حتى أصبح يعطف على المسلمين، واعتنق أخوه "بركة خان" الإسلام سنة 663هـ/1265م[71]، وكان ذلك نصرنا عظيما للإسلام والمسلمين، وقد تمكن ابنه مسعود بك في كثير من الأحيان إنقاذ البلاد من الخراب الذي كانت تتعرض له من قبل حكام وأمراء مغول تركستان، فتمكن بدهائه وحنكته أن يثني القائد براق خان(664- 668هـ/1256- 1270م) عن عزمه في تخريب بلاد ما وراء النهر، وأقنعه بالعدول عن سياسته التعسفية والظالمة للرعية، حيث كان يستحوذ على أموال الناس وأمتعتهم عنوة، فلم يتأخر مسعود في تقديم النصيحة له وأرجعه إلى جادة صوابه، فتخلى عن تلك السياسة الظالمة تجاه الرعية[72].

ولعب وزراء آخرون نفس الدور الذي لعبته أسرة يلواج، من الاهتمام بالمسلمين ونشر الإسلام بين مغول تركستان، مثل بهاء الدين المرغياني الذي كان من أسرة مسلمة من مدينة فرغانة، والذي تمكن تقلد منصب الوزارة بجدارة في عهد "بيسو-مونكي خان بن جغطاي"(645- 650هـ/1242- 1252م)[73]، ولعب دورا مهما في حماية الإسلام والمسلمين، كما لعب السيد الأجل البخاري الذي تولى الوزارة في الصين بعد وفاة محمود يلواج 658هـ/1259م الدور نفسه، حيث ضل في منصب الوزارة مدة 15 سنة إلى غاية وفاته 683هـ/1284م[74]، وتمكن الوزير "خذابنده زاده" صاحب ترمذ تقديم خدمات جليلة للسلطان خليل، فأمده بـ: 4 آلاف من المقاتلين الأشداء كانوا له عونا في حربه على بوزون خان "735- 739هـ/1335-1338م"[75]، فهزموه وعلت كلمة الإسلام من جديد في إلخانية مغول تركستان، وهكذا قدمت النساء والوزراء خدمات جليلة في تحويل مغول الإلخانية إلى الإسلام.

ثالثا: دور الطرق الصوفية والعلماء:

شهد القرن الثالث هجري/التاسع ميلادي تنامي كبير للطرق الصوفية في العالم الإسلامي، وازداد هذا التنامي خلال القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي، إثر تكالب الحملات الصليبية على العالم العربي فزاده تفكك وتشرذم، وتعتبر منطقة أسيا الوسطى من بين المراكز الرئيسية الانتشار الطرق الصوفية في العالم الإسلامي، وقد لعبت الصوفية دورا مهما في مقاومة المغول، ثم استسلمت بدورها كما

استسلم الآخرون أمام التفوق المغولي، فقد علموا بدورهم أن الاحتلال المغولي هو أمر واقع لا قوة له ولا دافع، فتوجهوا مثلهم مثل الآخرين إلى محاولة استمالة مغول تركستان إلى الإسلام.

ومن بين الطرق الصوفية التي لعبت دورا كبيرا في مقاومة المغول في بلاد ما وراء النهر، نذكر هنا الطريقة الكبراوية[76] التي تنسب إلى شيخ العارفين أبو الجناب أحمد بن عمر الخوافي الخورزمي، المعروف بنجم الدين الكبرى توفي(618هـ/1221م)، وكان قد طار صيته وأصبح له الأتباع الكثيرة في أسيا الوسطى[77]، ويقول عنه الرحالة ابن بطوطة: "أنه من كبار الصالحين"[78]، وقد أراد المغول أثناء حصارهم مدينة خوارزم أن يتقوا شره وشر أتباعه، وأرادوا بدهائهم أن يجلبوه إلى صفهم أو على الأقل يضمنوا حياده، فأرسلوا يعرضون عليه مغادرة المدينة مع أتباعه دون التعرض إليه بأذى، لكنه ضرب بطلبهم عرض الحائط، وأقسم على نفسه أن يجاهد في سبيل الله إلى أخر قطرة من دمه فيرزقه الله الشهادة أو ينتصر[79].

وتذكر الروايات التاريخية أنه لما اقترب المغول من مدينة خوارزم جمع الشيخ تلاميذه، وكانوا أكثر من 60 تلميذا، وأمرهم بمغادرة البلاد بسرعة إلى مواطنهم[80]، وذلك لمواصلة الدعوة إلى الإسلام، فأرسل سعد الدين الحموي إلى بلاد خرسان، وكمال الدين السرباتي إلى بلاد تركستان، ونظام الدين الجندي إلى بلاد قفجاق، وسيف الدين الباخرزي إلى بخارى[81]، فكان ذلك حكمة ودهاء منه، فقد عمد إلى تفريقهم على كل الجهات لكي يضمن نجاة ولو واحدا منهم، فيواصل نشر مبادئ الطريقة ويعمل على تحويل المغول إلى الإسلام، فلو أنه تركهم في منطقة واحدة لم يكن ليؤمن عليهم بطش المغول، ومن ثم تنتهي طريقته وتذهب جهوده هباء منثورا، وقد أثبتت الأيام مدي سداد بصيرته، فقد تمكن أتباعه من بعده حمل لواء الدعوة على عاتقهم، وأفنوا حياتهم في الوعظ والإرشاد وتلقين مبادئ الإسلام لمغول تركستان[82]، واستطاع الباخرزي تحويل السلطان بركة خان إلى الإسلام كما سنبينه بعد قليل.

وتقول المراجع التاريخية أنه بعد ذلك الاجتماع الكريم بقى من بقى من التلاميذ مع شيخهم لمحاربة المغول، وخرج الشيخ نجم الدين الكبرى يحمل حربته وجعبته المليئة بالحجارة، وضل يقذف المغول بالحجارة ويضربهم بالحربة حتى بلغته الشهادة 618هـ/1221م، وهو قابض بيديه على ضفيرة أحد محاربي المغول، ولم يستطيعوا تخليصه من قبضته إلا بعدما قطعوها[83]، فكانت تلك ملحمة من ملاحم الجهاد التي

سطرها نجم الدن الكبرى وأتباعه من أصحاب الطريقة الكبراوية في الدفاع عن مدينة خوارزم ضد المغول.

لقد كان الصوفية أثناء الغزو المغولي أكثر إذكاء لروح المقاومة والجهاد ضد العدو بين الناس[84]، ففي سنة 630هـ/1233م تجددت الثورة على المغول في بخارى منطلقة من قرية طراب(18 كلم على بخارى)[85]، برعاية الرجل الصوفي صانع الغرابيل المسمي "محمود الترابي"، وأيده في ذلك الشيخ شمس الدين محبوبي، على اعتبار أن المسلمين لا ينبغي لهم أن يُحكَموا من طرف المغول الكفار الذين يفرضون على المسلمين أكل الميتة[86]، واحتجاجا على ظلم عمالهم من جباة الضرائب[87]، فكانت تلك ملحمة ثانية من ملاحم كفاح الصوفية ضد مغول تركستان.

كانت تلك صفحة أخيرة من صفحات مقاومة الصوفية للمغول على ما يبدو، الآن الطرق الصوفية في بلاد تركستان تحولت كغيرها إلى محاولة كسب قلوب المغول إلى الإسلام، مستغلين في ذلك احترام بعض المغول للعلماء والفقهاء ورجال الدين، ومن على شاكلتهم من الصوفية، وذلك منذ غزوتهم الأولى، ففي مدينة بخارى قتلوا كل من وجدوه أمامهم إلا القاضي وشيخ الإسلام ومن احتمى بهما[88]، وروي عن جنكيزخان أنه التقى بعلماء مدينة بخارى إثر عودته إلى وطنه، وسألهم إن كان خوارزمشاه يأخذ الضرائب منهم ؟ فأجابوه بنعم، فتعجب من ذلك كثيرا وقال: كيف يرجو النصر والعزة بهذه المعاملة للعلماء، لأن النصر مرهون بالدعاء وهو يقتضي النشاط وفراغ البال بل الإحسان والإنعام، ثم أمر نوابه أن لا يأخذوا الفوائد الميرة من العلماء وأهل العلم، وطلب منهم الدعاء له وعاد إلى بلاده[98]

وقد كان "كيوك خان"(644- 647هـ/47- 1249م) لا يأخذ الضرائب من أصحاب العبادات من الوثنيين والنصارى والمسلمين، بل كان يسهل عليهم المؤن ويخفف عليهم في الأوزان[90]، فكانوا لا يكلفون العلماء والصوفية شيئا من الجنايات[91]، وذلك من أجل كسب ودهم وضمان عدم تجدد الثورات عليم، والتي كانت في أغلب الأحيان تقوم بدعوى العلماء ورجال الصوفية ذوي النفوذ والأتباع الكبيرة في تلك المناطق، فقد كان بإمكانهم في أي وقت من الأوقات تجميع الأنصار والجماهير الكثيرة وتأليبها ضد المغول، ومن هنا يتعرض سلطانهم إلى الاضطراب والقلاقل[92]، لاسيما إذا علمنا أن هؤلاء العلماء لم تكن تأخذهم في دين الله لومت لائم، فقد كان في مدينة هرات مثلا أحد الزهاد اسمه "نظام الدين مولانا" يحبه الناس كثيرا ويرجعون إلى قوله، فاتفق معهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ولو كان في قصر الملك، و في يوم من الأيام علموا بأن الملك يعاقر الخمر في قصره، فاجتمعوا في 6 ألف رجل وطوقوا القصر، وقام الفقيه وكبار رجال المدينة بإقامة حد العقوبة عليه[93]، ومن هنا كان المغول يعملون جاهدين لاستمالة العلماء والصوفية إليهم.

وقد اغتنم كثير من العلماء ورجال الصوفية هذه الفرصة من أجل نشر الإسلام في صفوف مغول تركستان، فقد اغتنمها أحد أتباع الطريقة الكبروية المعروف بالشيخ الزاهد العابد سيف الدين الباخرزي (ت 659هـ/1261م)، وكان هذا الأخير من كبار أولياء مدينة بخارى[94]، فأرسل تلميذه كبير المحال إلى السلطان"بركة خان" ليشرح له الإسلام، فانشرح صدره لهذا الدين حتى دخل فيه[95]، ففرح الباخرزي بذلك كثيرا وكتب إليه يطلق يده في كل لأفعال ولأعمال، فصمم "بركة خان" على ضرورة زيارة ذلك الشيخ الجليل[96]، فكان له ذلك عند فراغه من إجلاس "مونكوخان"648هـ/1250م على تخت المغول العظام، وفي طريق عودته مر بمدينة بخارى واجتمع بالشيخ سيف الدين الباخرزي، وأعلن إسلامه على يديه[97]، ثم عاد إلى بلاده وحسن إسلامه وأكرم المسلمين والفقهاء والعلماء أيما إكرام، وبني المدارس والمساجد ونشر الإسلام بين أتباعه، كما أسلمت زوجته "حجك خاتون" واتخذت لها خيمة على شكل مسجد تحمله معها أينما ذهبت[98]، وهكذا كان بركة خان أول من أسلم من المغول[99].

وبمجر اعتلائه عرش القبيلة الذهبية حتى أشهر إسلامه وأعلنها دولة إسلامية في سنة(654هـ/1256م)، واتخذ نفسه حامي القرآن والشريعة الإسلامية[100]، وأعلنها حربا شعواء ضد بني جلدته، وبدأت الحرب فعلا بينه وبين "هولاكوخان"(654-664هـ/1256- 1265م) مؤسس إيلخانية مغول فارس في سنة 660هـ/1262م، وذلك إثر إسقاطه الخلافة العباسية في سنة 656هـ/1258م[101]، فكانت تلك خدمة من خدمات السلطان"بركة خان" الجليلة للإسلام والمسلمين، ولاشك أنها تدخل في ميزان حسنات شيخ الصوفية الباخرزي الذي أسلم على يديه، واستمرت الطريقة الكبراوية تؤدي نفس الدور في هداية مغول تركستان إلى الإسلام، واستمر أتباع نجم الدين الكبرى والباخرزي في قيادة الطريقة إلى عهد التيموريين، حيث ظهر في عهدهم مولانا حسين كبرا حفيد نجم الدين، واشتهر كشاعر وصوفي ألف كتاب شرح فيه

أمور الصوفية على شاكلة كتاب "مثنوي" لمولانا جلال الدين الرومي صاحب الطريقة المولوية[102].

وقد لعبت الطريقة النقشبندية كذلك دورا مهما في إسلام مغول تركستان، لأنها كانت تقوم بدور مهم في الحياة الاجتماعية في بلاد ما وراء النهر، فقد ذاع صيتها في كل أنحاء أسيا الوسطى، وحوض نهر الفولقا والهند واليمن والشام ومصر وتركيا[103]، وسميت هذه الطريقة على مؤسسها " بهاء الدين بن محمد بن برهان الدين محمد الباخرزي"(716- 790هـ/1317- 1389م)[104]، وأصله من قرية "قصر هندواني" البعيدة 12كلم عن بخارى، وكان يعمل في نقش المشغولات المعدنية وتطريز المنسوجات، ومن هنا أطلق عليه اسم "نقشبندي" أي ناقش وصانع الزخرفة، وكان لا يأكل إلا من عمل يده، ويمقت التظاهر بالتدين ويحارب البدع والخرافات، مثل صيام 40 يوما والدروشة وعقد حلقات المدح بأصوات الموسيقي، كما نهي أتباعه عن التظاهر بالفقر والتقرب إلى ذوي السلطان، وحثهم على الكسب من أعمل أيديهم، والتمسك بالشريعة الإسلامية وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم[105].

واستطاعت الطريقة النقشبندية السيطرة على ساحة العمل الصوفي طيلة القرن8هـ/ ق14م، وتمكن أتباعها النشطين من تعليم الناس أمور دينهم، ونشرت الإسلام بين مغول تركستان الوثنيين، مستمدين مبادئهم من طبيعة تلك الطريقة التي كانت تحث أتباعها على عدم الانزواء والزهد في الدنيا، بل كانت تشجعهم على شغل حياتهم وكسب المال بالعمل المفيد للمجتمع وجهاد كفار المغول، وقد وظهر منها كثير من العلماء والمريدين ولأتباع لعبوا دور بارزا في تحويل المغول إلى الإسلام، أمثال: الخواجا عبد الله(806- 895هـ/1404- 1490م)الذي كان من بين العلماء البارزين في علوم اللغة والتفسير والتصوف،حتى تخاصم أهل عصره فيه، وقد لعب كل من الخواجة أبو فيرباراس(745- 822هـ/1345- 1420م)، والخواجة عبيد الله أحرار(806- 895هـ/1404- 1490م) دور الكبيرا في نشر الإسلام في تركستان[106]، وهكذا لعبت الطريقة النقشبندية الدور المهم في إسلام مغول.

وإلى جانب تلك الطرق فقد لعب الكثير من رجال الدين والصوفية والعلماء المنفردين الدور المهم في تحويل مغول تركستان إلى الإسلام، مثل الإمام والشيخ العالم الورع الخواجة بهاء الدين المرغلاني(المرغياني) الذي عينه "كيوك خان"(644- 647هـ/47- 1249م) وزيرا ونائبا عنه في بلاد ما وراء النهر[107]، في عهد "ييسو- منكي" الجغطائي، وكان هذا الوزير من أسرة دينية عريقة من مدينة فرغانة[108]،

وقد أصبح بيته مقصدا للعلماء البارزين من مختلف الجهات، وكان هذا الوزير يجمع بين الثقافة الدينية والدنيوية فعمد إلى إحياء العلوم الإسلامية، وتأثر بنشاطه الكثير من الموظفين المغول غير المسلمين واعتنقوا الإسلام على يديه، وكان له الفضل الأكبر في تحويل "كورجوز" نائب الإيلخان إلى الإسلام، والذي كان من الأويغور البوذيين من مدينة "باش بالق" ويعمل في خرسان، فأعاد هذا الأخير طبقة الموظفين المسلمين الفرس إلى مناصبهم المعهودة، كل ذلك بتأثير الوزير المرغلاني وأسرته وأتباعه[109]، فجزاه الله عن الإسلام كل الجزاء.

وهناك أيضا ذلك الصوفي الداعية المعروف بـ:" السيد علي الهمذاني"، الذي كان يتجول في كثير من الأنحاء لأزيد من 3 سنوات وهو يدعو المغول إلى الإسلام، وقد أفلح في تحويل الكثير منهم، قبل أن يتوفى في ناحية ختلان قرب نهر جيحون سنة786هـ/1284م، وترك لنا الكثير من المؤلفات في المواضيع الأخلاقية والتصوف[110]، فكان ذلك عمل من أعمال الصوفية المنفردين، ويخبرنا كذلك ابن بطوطة عن أعمال أحد علماء مدينة بخارى المعروف بـ:"بدر الدين الميداني"، وكان يعمل على استمالة السلطان كبك خان بن دوا بن جغطاي(718- 726هـ/1318-1326م) إلى الإسلام، بعدم سأله هذا الأخير قائل:" إنك تقول أن الله (تعالى) ذكر كل شيء في كتابه العزيز. فأين اسمي فيه؟" فأجابه قائل: في قوله تعالى "... في أي صورة ما شاء ركبك..."[111]، فأعجبه ذلك كثيرا وأكرمه أيما إكرام، وزاد في تعظيمه للمسلمين[112]، كما ذكر لنا أعمال الإمام حسام الدين الياغي مع السلطان "طرماشرين"(726- 734هـ/26- 1334م) الذي كان يعظه وينهاه عن الظلم والمنكر ويغلظ عليه القول، والسلطان في كل ذلك ينصت إليه بكل تواضع ويبكي[113]، وكيف لا يفعل ذلك وقد أسلم على يد ذلك الشيخ الجليل، وأعلن إسلامه على يديه في نفس السنة التي اعتلى فيها عرش مغول تركستان[114]، فكان هو أول من أسس إلخانية مغول تركستان الإسلامية.

ويخبرنا المؤرخ بارتولد كذلك عن قصة اعتلاء السلطان "خليل" (743-744هـ/42- 1343م)العرش، فلم يكن مسلما فقط بل إنه كان يعد مرشدا روحيا لبهاء الدين النقشبندي[115]، ويعني هذا أنه أسلم منذ عهد بعيد على يد أتباع الطريقة نفسها، وقد تمكنت جماعة من رجال الدين الذين كانوا يمتهنون التجارة، وعلى رأسهم الشيخ جمال الدين إلى تحويل السلطان "تغلق- تيمور"(748- 765هـ/47-1363م) إلى الإسلام، وأشهره على يد ابنه رشيد الدين[116]، فحسن إسلامه ونصر

الإسلام والمسلمين في تركستان.وهكذا لعبت الطرق الصوفية وأتباعها الدور الكبير في جهاد المغول في المرحلة الأولى، ثم استسلموا كغيرهم أمام القوة العسكرية المغولية، وعلموا أن الاحتلال المغولي أمر محتوم فعملوا على هداية المغول، بعد أن أوجدوا نقاط التعايش بينهم ثم استطاعوا تحويلهم إلى الإسلام.

رابعا: دور التجار:

كان المغول منذ عهد جنكيزخان يولون أهمية كبيرة بالتجارة المارة عبر إمبراطوريتهم الشاسعة، وكانت هذه الأخيرة السبب المباشر في قيام الحرب بين المغول بقيادة جنكيزخان والسلطان المسلم علاء الدين محمد بن خوارزمشاه(569-617هـ/1199- 1219م)، وكانت حادثة أوترارة الشهير،والتي تم على إثرها اغتيال التجار المغول المبعوثين من طرف جنكيز على يد حاكمها "ينال خان"، هي القطرة التي أفاضت الكأس، والفتيل الذي أشعل الحرب بين الطرفين، ولم تنتهي تلك الحرب إلا باحتلال المغول كل أراضي مملكة خوارزمشاه الشاسعة رفقة أراضي العالم الإسلامي، وكان المغول حريصين على فتح أبواب التجارة والطرق التجارية المارة في إمبراطوريتهم للجميع[117].

من هنا اهتم جنكيزخان كثيرا بتطوير التجارة في بلاده، وعمل جاهد من أجل جلب مختلف التجار إلى عاصمته، فعقد عدة معاهدات تجارية مع السلطان خوارزمشاه لمد 3 سنوات، ازدهرت التجارة على إثرها بين الطرفين، وأصبحت الطرق التجارية تعج بالقوافل والتجار، وانتقلت المنتجات والسلع التجارية عبر كل أسيا، وانتعشت الأسواق بالسلع والبضائع النفيسة [118]، وكان جنكيزخان يكرم التجار كثيرا، ففي مرة من المرات قدم له بعض الفلاحين أثناء صيده 3 بطيخات، ولم يكن لديه شيء ليكافئهم به سوي قرطين كانت تضعهما زوجته في أذنيها، ورفضت إعطائهما إياهم فأخبرها جنكيز أن لا تخافي فإنهما سوف يعودا إليكِ عن طريق أحد التجار[119]، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مدي تحكم المغول في التجارة، وفي مرة من المرات جاء أحد التجار بجام زجاج جلبه من مدينة حلب، فاستحسنه جنكيزخان كثيرا ولم يستحسنه أحد أتباعه، فقال له جنكيزخان : وكيف تقول بأنه رديء وقد حمله التاجر من بلاده البعيدة حتى وصل إلينا إلى منغوليا و بقى سليما لم يصبه شيء، ثم أعطاه مائتي بالش(عملة مغولية)[120]. واهتم جنكيزخان كثيرا بتحسين الطرق التجارية وإقامة الحراسة الشديدة عليها، كما عمل على تنظيم البريد، وقضى على اللصوص وقطاع الطرق في عهده بأن سلط علهم أشد العقوبات، وطبق عليهم قوانين

الياسا الصارمة فمن سرق شيئا كان عليه إرجاعه مع تسعة أمثاله، وإن لم يفعل ذلك أخذت منه أولاده ليكونوا رقيقا، فإن لم يكن له أولاد ذبح وسلخ كالشاة، لذلك خاف الناس واللصوص وقطاع الطرق على أنفسهم كثيرا، فأمنت الطرق التجارية واطمأن التجار على تجارتهم، ونشطت التجارة من جديد في عهد المغول[121].

واهتم المغول كثيرا بتنظيم وتطوير نظام البريد، من أجل سد حاجات الإمبراطورية الشاسعة من الناحية العسكرية، وتنقل الجيوش الجرارة في أوقات الحرب، ونقل المعلومات الدقيقة لأحوال الإمبراطوري، فضلا عن مزاياها من الناحية التجارية في أوقات السلم[122]، فأقاموا على طول المسافة بين بلاد الخطا ومدينة قراقورم عدة محطات بريدية سموها "ناري نيام"، وأعدوا لكل مرحلة من هذه المراحل التجارية فرقة عسكرية تتكون من ألف جندي لتحافظ عليها، وأمر "أوكتاي خان"(626-639هـ/1229- 1241م) بأن ترسل في كل يوم 500عربة من مختلف الولايات مملوءة بالأطعمة والأشربة إلى تلك المحطات لتزويدها بالمؤن والمستحقات، وكانت تلك العربات كبيرة وتجرها 6 ثيران وكانت تستعمل في عملية النقل والتنقل بين المحطات، وقد عممت هذه العملية على جميع ممالك المغول[123]، كما فكر "قوبلاي خان"(658- 693هـ/1260- 1294م) بحفر الآبار لتوفير المياه على امتداد دروب صحراوات أسيا الوسطى، من أجل ضمان السلامة للتجار والمسافرين[124].

لذلك نشطت التجارة أيما نشاط وتقدم التجار إلى مدينة قراقورم، وحصلوا على امتيازات كبيرة من الخانات العظام مثل الإعفاء من دفع الضرائب، فقاموا برحلات منظمة عبر أسيا من الصين إلى إيران ثم الشرق الأدنى، ومن بلاد الهند إلى الصين وقراقورم وبلاد القفجاق مرورا ببلاد تركستان، وساعدهم في ذلك إعادة المغول بعث العديد من المدن التجارية التي خربوها من قبل، كما قاموا ببناء مدن تجارية جديدة، فازدهرت التجارة من جديد وجاء التجار من كل حدب وصوب، وكانت مدينة تبريز تزدحم بالسكان والتجار حتى وصل عددهم 300 ألف.ن سنة 700هـ/ 1300م، وكانت همزة وصل بين التجارة الدولية بين شرق أسيا وغربها، ولا شك أن هذا التطور الهائل للتجارة كان يساعد كثيرا التجار المسلمين في الترويج لدينهم بين المغول،فيعملون على تحويل الكثيرين منهم إلى الإسلام[125].

ومما سهل في الأمر أن المغول استعانوا بوزراء مسلمين لإدارة الكثير من المدن والمناطق الحضارية التي كانت تعج بالأسواق التجارية، مثل محمود يلواج وابنه مسعود بك كما بينا من قبل، وقد كانا من أكبر التجار في إلخانية مغول تركستان،

استطاعا القبض على أزمة الحكم في تلك الإلخانية المضطربة لسنوات طويلة، وعملا على تطوير التجارة، واستطاعا إعادة الروح الإسلامية إلى سابق عهدها بإنشائهم الكثير من المدارس الراقية والمساجد الشامخة والزوايا الرائعة[126]، التي قدمت خدمات جليلة للإسلام والمسلمين، ولعبت دورا مهما في إيواء التجار المسلمين المسافرين من مختلف البقاع والأصقاع، وضمنت مجيء التجار باستمرار إلى تلك المناطق للتجارة، ومن ثم ضمنت استمرار التأثير الحضاري الإسلامي وانتشار الإسلام بين المغول.

كما لعب وزراء تجار آخرون نفس الدور الذي لعبته أسرة يلواج، أمثال التاجر المسلم عبد الرحمن الذي حل محل "تشوتساي" كمستشار لجنكيزخان ثم أوكتاي خان[127]، كما لعب وزير جغطاي قطب الدين حبش عميد دورا مهما في نشر الحضارة الإسلامية بين أبناء جغطاي، وقد كان حبش من أثري تجار عصره مع أنه لم يكن يقدم أي خدمة للمسلمين، وكانت علاقته برجال الدين جد متوترة، ولكنه استطاع أن يجعل لكل واحد من أبناء جغطاي خان مربيا ومرافقا من أبنائه[128]، ولا شك أن هذا الأخير وافق على ذلك لكي يحافظ على تجارته الكبرى التي كانت تدر عليه أموال طائلة، وكذلك لكي يستفيد أبناؤه من الحضارة الإسلامية ويتعلموا فنون التجارة من المسلمون، ومهما يكن من أمر الوزير حبش فقد خدم ذلك الإسلام والمسلمين كثيرا، لاسيما إذا علمنا أن أحد أحفاد جغطاي خان قد أسلم وحسن إسلامه وتسمى بمبارك شاه، ولاشك أن ذلك من جراء تأثير أبناء حبش عليه، وقد استمر نفوذ وتأثير جورج حبش حتى عهد قراهولاكو"640- 645هـ/42-1247م"[129].

وبلغ من نفوذ التجار المسلمين أن أجبروا قوبيلاي على العدول عن سياسته تجاه المسلمين، بعدما قتل المشركين أحد مشايخهم وأجبروهم على عدم ذبح حيواناتهم على الطريقة الإسلامية، هذا مما أدى إلى عجز المسلمين عن تأدية سنة عيد الأضحى أربع سنوات، فهاجر أكثرهم من بلاد الخطا وامتنع التجار المسلمين من الذهاب إلى قراقورم وبلاد الصين للتجارة، فتضررت تلك البلاد كثيرا، مما أدى بقوبيلاي إلى تعديل سياسته الاضطهادية تجاه المسلمين، وسمح لهم بذبح مواشيهم على الطريقة الإسلامية[130]، هنا فقط عادت المياه إلى مجاريها، وعاد تأثير التجار المسلمين على المغول.

ولعب تجار مغول تركستان دورا مهما في تحويل المغول إلى الإسلام، نضرا لموقعها الإستراتيجي المتوسط لإمبراطورية المغول، فكل الطرق التجارية كانت تمر عبر

أراضيها، فالمسافة بين مدينة سمرقند ومدينة سيلي في الشرق كانت تستغرق 20 يوما، ومنها إلى مدينة الماليق الموجودة في شرقها لا تستغرق إلا 20 يوما، ثم تستمر الطريق إلى مدينة قراخوجا ومنها إلى مدينة"خان بالق" في مدة 40 يوما،ومها إلى الصين تستغرق 40 يوما، عبر طريقين أحدهما بري والأخر بحري[131]، وقد كانت مدن بلاد ما وراء مثل بخارى وسمرقند ذات الكثافة السكانية الكبيرة ولأسواق الكبيرة الواسعة، مزدحمة بالتجار والمتاجرين، ولا يقل ازدحامها إلا في يوم الجمعة[132].

كانت الدعوة الإسلامية تسري جنبا إلى جنب مع التجارة في بلاد المغول، فكان الأغنياء من التجار المسلمين يشيدون الكثير من المدارس والخانقاهات(الزوايا)[133]، مستغلين في ذلك تشجيع سلاطين المغول الساكنين في المراكز التجارية الكبرى ذلك، لأنها كانت تدر عليهم أرباح طائلة، وفي نفس الوقت كان التجار المسلمين يعتبرون عاملا مهما ومؤثر يتم عبرهم تنقل المؤثرات الثقافية الحضارية الإسلامية إلى المغول، عن طريق مخالطتهم وتزويدهم بمنتجات الحضارة الإسلامية من سلع تجارية وكتب ثقافية وعلوم إسلامية، مما ترك أثرا قويا على المغول ثم أدي إلى إسلامهم[134].

لا ننس هنا التنويه إلى الدور الذي لعبه الصناع والحرفيين الذين أسروا أثناء غزوات المغول الأولى، وأخذوا إلى منغوليا ومكثوا هناك يعلمونهم أسرار المهن الحرفية، ولاشك أن المغول تأثروا كثيرا بطريقة عملهم، وانبهروا من مهارات أيدهم في إخراج العجائب والغرائب، فحاولوا تقليدهم وبعدها تبنوا ثقافتهم الإسلامية، ورويدا رويدا إعتنقوا الإسلام، فلاشك أن التجار المسلمين استغلوا هذا الأمر في دعوة المغول إلى الإسلام[135]،هكذا استكمل التجار المسلمين نشر الدعوة الإسلامية في صفوف المغول، واستطاعوا بمهارتهم وصبرهم وبتوفيق من الله عزوجل تحويل المغول إلى الإسلام.

خاتمـــة:

اجتاح المغول خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي العالم الإسلامي وأطاح بالدولة الخوارزمية التي كانت متربعة على معظم أراضي أسيا الوسطى، وأسقطوا الخلافة العباسية الهاشمية الحاكمة شكليا في بغداد 656هـ/1256م بعد أن سادت قرون كثيرة، وسلطوا غضبهم وجبروتهم على كل شيء يمت للحضارة بصلة وكأنهم خلقوا لإفناء البشرية، ثم كونوا في كل أراضى أسيا ممالك واسعة ومن

بينها إلخانية مغول تركستان(جغطاي) التي كانت تتوسط أراضي الإمبراطورية، فظلت تتقلب بين مشروعين مختلفين أولهما وثني شاماني ثم بوذي في أقصى الشرق يدعمه الخانات العظام، والثاني إسلامي يتبناه السكان المحليون الأتراك والفرس ويدعمه خانات القبيلة الذهبية.

وقد تضافرت الجهود من اجل تحويل مغول تركستان إلى الإسلام، فقد ساهمت كل فئة من فئات المجتمع الإسلامي بدوره، وضرب كل واحد بسهمه في تلك العملية، وعملت كل فئة حسب طاقاتها وإمكاناتها لتحويل المغول إلى نور الإسلام، بداية من الأغلبية السكانية المسلمة إلى بعض الوزراء المسلمين المستنفذين في البلاط المغولي، والمؤثرين في بعض زوجات الخوانين العظام ونساء الأمراء، والذين نجحوا في تحويلهم إلى الإسلام أو إقناعهم بالعطف على الإسلام والمسلمين، كما لعبت الطرق الصوفية أمثال الطريقة الكبروية والنقشبندية دورا مهما في تحويل مغول تركستان إلى دين الحق، واستكمل التجار المسلمون ما عجز عنه الأوائل، فنجح الجميع في إقناع مغول تركستان بالإسلام، فأسلموا عن حقا وحسن إسلامهم وساهموا بقسطهم في إعادة بناء الحضارة الإسلامية من جديد، فكيف كانت مظاهر الحياة الثقافية في إلخانية مغول تركستان بعد إسلامهم يا تري؟

الهوامش

(1) رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول،دار النهضة العربية، القاهرة،1986، ص 62.

(2) نفس المرجع، ص64

(3) نفس المرجع، ص ص، 63،62.

(4) إسماعيل عبد العزيز الخالدي:العالم الإسلامي والغز والمغولي، مكتبة الفلاح الكويت، بيروت، 1404هـ/1984 م، ص 189.

(5) عبد الله مبشر الطيرازي: مسلمو أسيا الوسطى وأثرهم الحضاري، بحث مقدم للمؤتمر الإسلامي العالمي، في مدينة بشكك(عاصمة قرغيزستان)، من 12 إلى 14 شعبان 1427هـ/ من 5إلى 6 سبتمبر 2006م. ص 10.

(6) رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص 54.

(7) نفس المرجع، ص 65.

(8) نفس المرجع، ص79.

(9) بارتولد: تاريخ الترك في أسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1416هـ/1996م، ص ص، 220،219.

(10) رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص ص، 80،79.

(11) نفس المرجع، ص81.

(12) نفس المرجع، ص82.

(13) بارتولد :مرجع سابق، ص180.

(14) فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م، ج1، ص ص، 51،50.

(15) رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص 82.

(16) بارتولد: مرجع سابق، ص181.

(17) Le BARON C.D'ohsson : Histoire des mongols, depuis Tchinguiz-KHAN Timour BEY ou TAMERLAN ,LA HAYE ET AMSTERDAM LES FR2RES VAN CLEEF,1834,Tome 1 ,p 198.

(18) بارتولد: مرجع سابق، ص181.

(19) رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص81.

(20) بارتولد: مرجع سابق، ص62.

(21) الصياد: مرجع سابق، ج1، ص49.

(22) يقول بارتولد عن هذه اللغة:" أنها انتقلت إلى الأويغور عندما اعتنقوا المعتقد المانوي الذي نقله إليهم بعض الرهبان الآتين من أرض بابل(العراق)، و الذين نقلوا معهم خطهم السرياني إلي إيران و بلاد ما وراء النهر ثم أخذه الأويغور عنهم في الفترة التي سيطروا على التجارة في كاشغر وبلاسغون، ثم عرف بالخط الأويغوري".تاريخ الترك:مرجع سابق،ص 76؛ وهو يكتب بحروف العربية،أنظر فاطمة إبراهيم المنوفي:مسلمو الأيغور .. ثبات على الإسلام رغم عذابات الصينيين، مجلة تركستان الإسلامية: مرجع سابق، العدد،6، ص48؛ وأنا أعتقد أنها اخترعت عقب إسلام الأويغور وتمت كتابة القرآن الكريم باللغة التركية ولكن بالحروف العربية لكي يفهمه الأويغور؛وقد استمرت هذه اللغة إلى غاية 1310م هي لغة العلم والثقافة والتأليف،فألفوا بها كتب قصص الأنبياء في مملكة تركستان،ثم حلت محلها اللغة الجغطائية(نسبة إلي جغطاي) التي هي ثمرة تلاقح وتأثير اللغة الأويغورية بين المغول والأويغور في بلاد جغطاي. بارتولد :مرجع سابق، ص166.

(23)- نفس المرجع، ص 76؛ أنظر، Roné GROWSSET : L'empire des Steppes, Attila , Gengis-Kan, Tamerlan,Editions payot,parit,quatriéme edition, 1965, p 408.

(24)- أحمد محمد الساداتي:تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية و حضارتها،مكتبة الآداب، القاهرة، ج 1، ص127.

(25) محمد علي البار: كيف أسلم المغول، دار الفتح للدراسات و النشر، 1429هـ/2008م، ص70.

(26) أحمد محمد الساداتي: مرجع سابق، ج1، ص128.

(27) القلقشندى: الصبح الأعشى،دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1914م، ج7، ص ص، 372،373.

(28)- محمد علي البار: مرجع سابق، ص71.

(29) بارتولد: مرجع سابق، ص213.

(30) محمد علي البار: مرجع سابق، ص72.

(31) نفسه

(32) الرمزي: تلفيق الأخبار وتلفيق الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار،المطبعة الكريمية والحسينية، د،ت،ن، نورنبورغ، مج 1، ص390.

(33) بارتولد:مرجع سابق، ص ص، 194،195.

(34) الرمزي:مصدر سابق، مج1، ص419.

(35) رشيد الدين: مصدر سابق، مج2، ج1، ص232.

(36) الرمزي: مصدر سابق، مج1، ص232.

(37) نفس المصدر، مج1، ص23.

(38) رجب محمد عبد الحليم:مرجع سابق، ص ص،69،70.

(39) بارتولد: مرجع سابق، ص204.

(40) الرمزي:مصدر سابق، مج1، ص380.

(41) رشيد الدين فضل الله الهمذاني: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيزخان من أوكتاي قاآن إلي تيمورقاآن، ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد، مراجعة: يحي الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، 1983م، ص 151؛ أنظر أحمدوف بوريبوي و زاهد الله منروف: العرب والإسلام في أوزبكستان، تاريخ أسيا الوسطي منذ أيام الأسر الحاكمة حتى اليوم، مراجعة: نعمت الله إبراهيموف، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت، ط2، 1999م ،ص 178.

(42) نفسه.

(43) رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص70.

(44) نفس المرجع، ص66.

(45) محمد علي البار: مرجع سابق، ص89.

(46) الصياد : مرجع سابق، ج1، ص195.

(47) إسماعيل عبد العزيز الخالدي، مرجع سابق، ص196.

(48) الرمزي: مصدر سابق، مج2، ص24.

(49) الصياد: مرجع سابق، ج1، ص211.

(50) ياماز أوزطونة: المدخل إلي التاريخ التركي، ترجمة: أرشد الهرمزي، الدار العربية للموسوعات، 1426هـ/2005م، ص423.

(51) رشيد الدين فضل الله الهمذاني: مصدر سابق، ص15؛ أنظر، السير توماس أرنولد: الدعوة إلي الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة: حسين إبراهيم حسن و عبد المجيد عابدين، تعليق: إسماعيل النجراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1971م،ص 266؛ أنظر، الخالدي: مرجع سابق، ص214.

(52) ابن بطوطة: تحفة الناظر في غرائب الأمصار و عجائب الأمصار، تحقيق: عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، 1417هـ/1997م ، مج3، ص ص،14،13.

(53) رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص71.

(54) يلواج هو مصطلح معناه السفير أطلق على محمود عندما قام بمهمة السفارة بين جنكيزخان والسلطان محمد بن خوارزمشاه سنة 614هـ/1217م، ومنذ ذلك الوقت أطلق عليه لقب يلواج ودخل في خدمة جنكيزخان. الصياد: مرجع سابق، ج1، ص155.

(55) نفسه.

(56) بارتولد: مرجع سابق، ص ص،204،203.

(57) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، تصحيح: الأب أنطوان صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت، 1403هـ/1983م ، ص448. فما بعدها من عدة صفحات.

(58) ابن الفوطي: من تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق:مصطفى جواد، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، ج 4، قسم 3، ص398.

(59) جمال قرشي في محمد على البار: مرجع سابق، ص ص، 84،83.

(60) ابن الفوطي: مصدر سابق، ج 4، قسم 3، ص 398.

(61) جمال قرشي في محمد علي البار: مرجع سابق، ص84.

(62) نفس المرجع، ص ص، 85،84.

(63) الصياد: مرجع سابق، ج1، ص155.

(64) بارتولد: مرجع سابق، ص ص،204،203.

(65) محمد على البار، ص89.

(66) بارتولد: مرجع سابق، ص ص، 205،204.

(67) محمد علي البار: مرجع سابق، ص87.

(68) بارتولد: مرجع سابق، ص204.

(69) رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص77.

(70) محمد علي البار: مرجع سابق، ص88.

(71) نفسه.

(72) رشيد الدين الهمذاني: مصدر سابق، مج 2، ج 2، ص23.

(73) محمد علي البار: مرجع سابق، ص134.

(74) نفسه.

(75) ابن بطوطة: مصدر سابق، مج 3، ص34.

(76) هي طريقة صوفية تأسست على يد نجم الدين الكبرى، أحد رجال الصوفية السهروردية أسس طريقته الخاصة به التي سميت على اسمه"الطريقة الكبراوية"، قتل من طرف المغول في سمرقند سنة 617ه/1221م، ولا يزال قبره إلى اليوم مزارا للناس، انتشرت هذه الطريقة في أسيا الوسطى. ابن بطوطة: مصدر سابق، مج 3، هامش،ص10.

(77) رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص87.

(78) ابن بطوطة: مصدر سابق، مج 3، ص10.

(79) الرمزي: مصدر سابق، مج 2، ص23.

(80) محمد علي البار: مرجع سابق، ص69.

(81) الرمزي: مصدر سابق، مج 1، ص406.

(82) رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص ص، 88،87.

(83) محمد علي البار: مرجع سابق، ص69.

(84) محمد علي البار: مرجع سابق، ص91.

(85) أحمدوف: مرجع سابق، ص 186.

(86) محمد علي البار: مرجع سابق، ص85.

(87) أحمدوف: مرجع سابق، ص 186؛ وقد تمكن هذا الرجل الصوفي أن يحرك رجال بخارى ودعاهم إلى الجهاد فكثر مؤيديه.أنظر،محمد علي البار: مرجع سابق،ص85.؛ وانظم إليه الآلاف الثائرة المسلحة بالعصي والفؤوس والمذاري، فهرب مسئولو المغول واندس آخرون بين الثوار من أجل قتل محمود الترابي،ولكن الثوار استولوا على بخارى و بايعوا الترابي بالخلافة وأعدموا وجهاء المغول ووزعت أملاكهم بين الفقراء،ولكن الثورة سرعان ما أخمدت من طرف المغول.أنظر كذلك، أحمدوف:مرجع سابق،ص187.

(88) رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص ص، 86،85.

(89) الرمزي: مصدر سابق، مج1، ص 356.

(90) ابن العبري: مصدر سابق، ص459.

(91) ابن كثير: البداية و النهاية، تحقيق: حمان عبد المنام، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004، ج1،ج2، ص2006.

(92) رجب محمد عبد الرحيم: مرجع سابق، ص 85.

(93) ابن بطوطة: مصدر سابق، مج 3، ص49.

(94) نفس المصدر، مج 3، ص24.

(95) الرمزي: مصدر سابق، مج1، ص406.

(96) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ و الخبر و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: أبو صيت الكرمي، بيت الأفكار الدولية ، ص 1538.

(97) الرمزي: مصدر سابق، مج1، ص405.

(98) نفس المصدر، مج1، ص406.

(99) القلقشندى: مصدر سابق، ج4، ص474.

(100) الرمزي: مصدر سابق، مج1، ص410.

(101) لقد غضب بركة خان كثيرا على هولاكو وقال:"إنه دمر جميع مدن المسلمين وقضى على أسر ملوك الإسلام جميعهم، ولم يميز بين الصديق والعدو، وأعدم الخليفة دون مشورة كبار الأسرة، فلو أمدني الله تعالي لطالبته بدماء الأبرياء" وفي سنة 660هـ/1262م. رشيد الدين فضل الله الهمذاني: مصدر سابق، مج 2، ج 2، ص232.

(102) رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص88.

(103) أحمدوف: مرجع سابق، ص285.

(104) لم يذع صيته إلا بعد موته حيث اعتبره العامة من بخارى رجلا مباركا،ثم بعد ذلك قام السلطان"عبد العزيز خان الشيباني" حاكم بخارى(946- 957هـ/40- 1550م)، ببناء قبره ثم أصبح مزارا يرتاده الناس من كل الجهات، ويرجع لبهاء الدين الفضل في إرساء قواعد الطريقة النقشبندية التي تطورت على أيدي مريديه أمثال: علاء الدين العطار(ت802هـ/1400م) والحاج محمد يارس(745- 822هـ/ 1345- 1420م) والحاج عبيد أحرار(1404- 1490م) والحاج جلال الدين أحمد كاساني(1462- 1542)وأخانا محمد إسلام(1423- 1563م). أحمدوف:مرجع سابق، ص ص، 285،286.

(105) نفسه.

(106) رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص،89.

(107) نفس المرجع، ص76.

(108) محمد علي البار: مرجع سابق، ص134.

(109) رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص76.

(110) نفس المرجع، ص90.

(111) القرآن الكريم، الآية 8، سورة رقم 82،.

(112) تحفة الناظر: مصدر سابق، مج 3، ص ص،28،27.

(113) نفس المصدر، مج 3، ص29.

(114) رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص237.

(115) بارتولد: مرجع سابق، ص228.

(116) السير توماس أرنولد، مرجع سابق، ص ص، 267،266.

(117) عادل إسماعيل محمد هلال : العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الإسلامي، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، الزقازيق، 1997م،ص 219.

(118) الرمزي: مصدر سابق، مج1، ص ص، 351،350.

(119) ابن كثير: مصدر سابق، ج 2، ص 2007.

(120) نفس المصدر، ج2، ص2007.

(121) رجب حمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص97.

(122) الصياد، : مرجع سابق، ج1، ص219.

(123) رشيد الدين فضل الله الهمذاني: مصدر سابق، ص60.

(124) الصياد: مرجع سابق،ج1، ص ص، 192،191.

(125) رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص98.

(126) نفس المرجع، ص99.

(127) نفسه.

(128) بارتولد: مرجع سابق، ص218.

(129) رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص75.

(130) نفس المرجع، ص99.

(131) القلقشندى: مصدر سابق، ج4، ص ص، 475،465.

(132) ابن بطوطة: مصدر سابق، مج3، ص 9.

(133) بارتولد: مرجع سابق، ص148.

(134) رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص 100.

(135) إسماعيل عبد العزيز ألخالدي: مرجع سابق، ص197.